«الاعداء». هذا ليس فقط غير صحيح، وانما خطير أيضاً؛ وفيه ما يؤكد الطرح الصهيوني بأن غير اليهود هم «غوييم» (غرباء)، معادون لليهود. ان اعداداً كبيرة من اليهود، الذين ليست لهم مصلحة لينتظموا في مختلف المنظمات الصهيونية، وليسخّروا أنفسهم، من خلالها، في خدمة الرأسمالية العليا الصهيونية والعالمية، انضموا الى تلك المنظمات تحت ضغط الطرح المذكور، الذي عزّزته معاداة السامية في اوروبا القرون الوسطى، وفي الامبراطورية القيصرية، والمانيا النازية، في تاريخ العالم الحديث.

ان ردود الفعل اليهودية والاسرائيلية على المجزرة، وقبل ذلك على غزو اسرائيل للبنان، ليست انشقاقاً في صفوف «الاعداء»، وانما هي جزء من عملية تاريخية للتحرر اليهودي من التكتل الطائفي العنصري، ومن خدمة الرأسمالية العليا الصهيونية والدولية، وللانضمام الى التيار الانساني الحضاري المعادي للعنصرية وجرائمها، والمتطوّر دوماً في اتجاه التقدّم.

ثمّة مسألة أخيرة، هي: لِمَ حدثت المجزرة؟ لقد احتلت اسرائيل جزءاً كبيراً من لبنان، وقصفت، ودمّرت، وقتلت من الفلسطينيين واللبنانيين الآلاف، واعتقلت الآلاف، وأجلت المقاتلين الفلسطينيين من بيروت، وحققت حلمها بدخول بيروت، وطاردت، في كل الزوايا، كل من له صلة بالوطنية، فما فائدة المجزرة بعد كل هذا؟

قد نجد الجواب في كلمة مردخاي تسيبوري: «الأهداف لم تتغيّر: ان يطرد الفلسطينيون من أراضيهم، ومن وطنهم، وان يحذفوا كشعب»[٧].

لكن المجزرة تناولت غير الفلسطينيين، أيضاً. تناولت لبنانيين. انّ من الممكن اعطاء الأوامر بتوفيرهم، واعتقالهم، مثلاً، اذا كانوا خطرين، ولكنهم أُبيدوا على طريقة الفلسطينيين، ممّا يعني انهم مقصودون أيضاً.

حكى هرتسل، منذ زمن بعيد، عن مطاردة وحوش الغابة (أي سكان المنطقة العربية) بالأسلحة الحديثة، لا بالسهام، أي بأحدث أدوات القتل المتوفرة. ولم يبق هذا الكلام نظرياً، بل تجسّد بعشرات المجازر، وبمئات القرى الممسوحة من على وجه الأرض، وبآلاف البيوت التي نسفت بالديناميت، وأُزيلت بالجرّافات. المجزرة هي تجسيد لعملية أشمل، وأوسع، هي عملية الغزو الاستيطاني، الذي جرى، ويستمر، مع الأسف، في القرن العشرين، الذي انحسر فيه الاستعمار التقليدي انحساراً كلياً تقريباً.

من هنا، المجزرة هي درس تاريخي للعرب، لا للفلسطينيين وحدهم. انها ليست واقعة منفردة، وانما هي جزء من عملية متكاملة تتكرر باستمرار، وسوف تبقى تتكرر حتى تنتصر حركة التحرر العربي، التي تقف في طليعتها، حالياً، حركة التحرّر الفلسطينية.

قد تكون الانتفاضة الفلسطينية في الاراضي المحتلة، التي انطلقت في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٧، هي التي استفادت أكثر ما يمكن من الدرس التاريخي. لقد كانت رداً واقعياً ومثابراً على عملية الابادة التي تمارسها الادارات الاسرائيلية ضد الفلسطينيين منذ عقود، والتي تصاعدت، خصوصاً، في الثمانينات.

ان الانتفاضة هي اثبات على ان أي شعب يستطيع، في أقسى الظروف، الدفاع عن نفسه. وهذا الدفاع يكون قوياً بمقدار ما يتخلّص من الأوهام والعقد معاً، الأمر الذي تفعله منظمة